الفصل التاسع

الأسرة.. ودورها في رعاية الطفل الموهوب

يعتقد «بلوم» Bloom أنَّ الأسرة تلعب الدور الأهم في تشكيل الموهبة لدي الطفل، وأنَّ الأسرة إذا لم تقم بتشجيع الطفل وتقديره وتوفير المناخ الملائم له في المنزل، فإنَّ الموهبة قد تبقي كامنة.

ولقد بيَّن «بلوم» في دراسةٍ أجراها علي (١٢٠) موهوباً أظهروا نبوغاً في طفولتهم في مجالاتٍ متنوعة،مثل: العزف علي البيانو، والنحت، والسباحة، والرياضيات، أنَّ دور المنزل أهم من دور المدرسة في تنمية المواهب لدي الطفل.

ولكن علي الرغم من ذلك فإن غياب دور المدرسة في اكتشاف الموهوبين وتنميتهم، أو قهر الموهبة بإتباعها أساليب تربوية عقيمة أو غير مُجدية سوف يؤدي إلي إعاقة دور الأسرة، حيث لن تستطيع تعويض هذا القصور من جانب المدرسة٠

وبيَّن «بلوم» أيضاً أنَّ دور الأبوين يتمثَّل في توفير نماذج إيجابية يُقلِّدها الطفل، وامتلاك اتجاهات إيجابيَّة نحو العلم والتعلُّم.

● اتجاهات الآباء في اكتشاف وتنمية مواهب أطفالهم :

كمَّا أوضحنا فيما سبق فإن البيت هو المصدر الأصلي لتشجيع ونمو ميول الطفل الموهوب وقدرته علي الابتكار والإبداع٠ وغالباً ما تبدأ موهبة الطفل في الظهور في فترة ما قبل المدرسة وذلك من خلال تفوقه الواضح في مختلف الأعمال والمجالات، وكذلك في نضج قدراته وميوله واتجاهاته٠

وبعض الآباء أقل قدرة علي كشف تفوق طفلهم في النواحي التي ذكرناها؛ بسبب قلة معلوماتهم عن الطفولة ونموَّها٠ والبعض الآخر من الآباء أقل حرصاً علي حاجة الطفل لاكتساب خبرات وتجارب تُساعدهم في الكشف عن مواهبه، وكيفية نموّ هذه المواهب واستغلالها، والاستفادة منها.

وآباء آخرون لا يعرفون كيف يشبعون حاجات الطفل، أو ليس عندهم ميل لذلك٠ وهناك من الآباء مَنْ يعملون علي الحدِّ من تفوق نمو قدرات وإمكانات طفلهم، بل ويكرهونها !!

وقد يكشف الآباء عن ميل طفلهم ويدركون حاجاته، ولكنَّهم يولونه عناية زائدة، ويزداد قلقهم وحرصهم عليه أكثر ممَّا ينبغي، وقد يضعون للطفل أهدافاً تفوق مستوي طاقته٠

ويستطيع والد الطفل الموهوب تبيُّن بعض الجوانب التي يتمتع بها طفله بشكلٍ عام٠فقد يُدرِّك الوالد أنَّ ذكاء ابنه فوق المتوسط، ولكنَّه يُحس في نفس الوقت أنَّ هذا ينسحب علي سواه من الأطفال؛ ذلك أنَّه لا يتوافر للوالدين أساس قوي ــ عادةً ــ للمقارنة الدقيقة ويكون بحاجةٍ إلي معرفة وإدراك قيمة ومعني الموهبة إذا كنا نريد منه أن يقوم بتوجيه ابنه٠

ويحتاج الوالدان إلي أن يُدركا إذا كان طفلهما متفوقاً أو موهوباً، ولعلهم بحاجةٍ أيضاً إلي الوقوف علي مُعدل الذكاء بدقةٍ، ولكن قد يُغنيهما الوصف عن معرفة الرقم المُحدَّد لذكاء ابنهما، فيكون من الأوضح أن يُقال لهما أن أبنهما متفوق أو ذكي جداً.

- **الأسرة.. وخطوات الكشف عن طفلهم الموهوب :**

حدَّد « كولانجلو »، و« دانمان » دور الأسرة في الكشف عن الطفل الموهوب في الخطوات التالية:

- **الخطوة الأولي:** التعاون مع المدرسة عن طريق عقد اللقاءات مع مُعلِّم الطفل لإعطائه المعلومات الكافية عن طفله الموهوب؛ لأنَّ المُعلِّم لن يكون لديه الوقت الكافي لكشف الموهبة لدي جميع التلاميذ أو الطلاب.

- **الخطوة الثانية:** عقد لقاءات مع الاختصاصي النفسي أو المرشد النفسي لكي يمدّه بالمعلومات اللاَّزمة عن سلوك الطفل الموهوب، والتعرُّف علي أساليب التعامُّل الصحيح معه، ومُراعاة الخصائص النفسيَّة والاجتماعيَّة للطفل الموهوب، ورعاية قدراته الخاصَّة.

- **الخطوة الثالثة:** اللجوء إلي مصادر الدعم في المجتمع من جامعات ومؤسسات مجتمعية لتوفير المساعدات الماديَّة والنفسيَّة لرعاية الطفل الموهوب.

● خصائص البيئة الأُسرية للأطفال الموهوبين:

تُشير دراسات عديدة تناولت السيرة الذاتية للموهوبين والنوابغ من العلماء والمفكرين والقادة في مجالات العلوم والآداب والسياسة أنَّه هناك بعض ملامح مشتركة في بيئتهم الأُسرية خلال طفولتهم المبكرة، يمكن تلخيصها كمَّا يلي:

١ــ حجم الأسرة:

في دراسة «تيرمان» علي عينة قوامها حوالي ألف من الموهوبين بيَّنت أنَّ ٦٠٪ من أفراد عينته كانوا ينتمون إلي أُسر عدد أفرادها اثنان٠

وفي دراسة أجراها «سيلفرمان» Silverman، و«كيرني»Kearney علي(٢٣) طفلاً موهوباً يتجاوز مستوي ذكائهم (١٧٠) درجة، تبيَّن أنَّ ٦٥٪ من أُسر هؤلاء كان متوسط عدد أطفالها اثنين٠

ووجدت دراسة أُخري أجراها «فان تاسل باسكا» Van Tassel Baska علي مجموعة من الطلاب المتميزين في الاختبارات التحصيليَّة في الرياضيات واللُّغة أنَّ نصف الحاصلين علي الدرجات الأعلى ينتمون إلي أُسر متوسط عدد الأطفال فيها اثنان٠

وبيَّنت دراسة « بينبو » Benbow،و « ستانلي »Stanley التي أُجريت علي (٩٠٠) طفل موهوب في الرياضيات أنَّ عدد الأطفال في هذه الأُسر كان حوالي ثلاثة أطفال٠

وفي دراسةٍ أجراها «جروس» Gross تبيَّن أنَّ (٢٤) من (٢٦) أُسرة من أُسر الأطفال الموهوبين بلغ عدد الأطفال فيها اثنين٠

ويتضح من هذه الدراسات التي قمنا بعرضها أنَّ حجم أسرة الطفل الموهوب صغير نسبياً، وأنَّ عدد أفرادها قليل، ويمكن تفسير ذلك بأنَّ الطفل الموهوب عندما يعيش في أُسرةٍ حجمها صغير نسبياً فإنَّ الاهتمام به يكون أكثر، والوقت الذي يقضيه الوالدين معه أكبر، ممَّا يُساهم في إظهار موهبته،كمَّا أنَّ الأسرة تستطيع أن توفر دعماً ماديًّا ومعنويًّا بشكلٍ أفضل.

٢ــ ترتيب الطفل في الأسرة:

بيَّنت دراسة « تيرمان » أنَّ ٦٠٪ من أفراد عينته كان ترتيبهم الأوَّل أو الوحيد في الأسرة٠

وفي الدراسة التي أجراها «ألبرت» Albert علي رؤساء الولايات المتحدة الأمريكيَّة ونوابهم، ورؤساء وزراء بريطانيا، وحائزين علي جائزة « نوبل » في الولايات المتحدة تبيَّن أنَّ ٧٥٪ من أفراد العينة كان ترتيبهم الأوَّل في أُسرهم، أو كانوا يتمتعون

بمكانةٍ خاصَّةٍ فيها (كالطفل الأكبر ــ الطفل الوحيد ــ الطفل الأصغر الذي ولد بعد مرور عدة سنوات)٠

وفي دراسةٍ أُخري أجراها «سيلفرمان»، و «كيرني» علي(٣٣) طفلاً موهوباً بلغ مستوي ذكائهم فوق (١٧٠)، تبيَّن أنَّ ٦٥٪ من أفراد العينة كان ترتيبهم الأوَّل أو الوحيد في أُسرهم٠

أمَّا دراسة «بينبو»، و«ستانلي» علي عينة قوامها (٩٠٠) طفل موهوب، فقد بيَّنت أنَّ عدد أفراد الأسرة كان حوالي ثلاثة فقط٠

وفي دراسة «جروس» علي عينة تتكوَّن من(٤٠) طفلاً موهوباً من استراليا، تبيَّن أنَّة حوالي ٧٢٪ من الأطفال الموهوبين كان ترتيبهم الأوَّل في الأسرة، وأنَّ ٢٠٪ منهم أطفال وحيدون٠

من الدراسات السَّابقة يتبيَّن لنا أنَّ الطفل الموهوب يحتل الترتيب الأوَّل، وقد يكون الطفل الوحيد، أو قد يتمتَّع بمكانةٍ خاصَّةٍ في الأسرة، ويمكن تفسير ذلك بأنَّ هذا النوع من الأطفال يُلاقون معاملة خاصَّة في الأسرة، إذ يتم تشجيعهم علي الاستقلالية ولعب دور قيادي في الأسرة منذ الصِّغر، وبسب احتكاكهم بالوالدين، وتفاعُلهم الدائم معهما يكونون أقدر من باقي الإخوة أو الأخوات علي اكتساب اللُّغة بشكلٍ مبكر؛ ممَّا يُساعد في تنمية ذكائهم وإظهار قدراتهم الكامنة٠

٣ــ عُمْر الأبوين:

بيَّنت دراسات«"تيرمان»"علي أُسر الأطفال الموهوبين أن متوسط عُمْر الأب عند ولادة الطفل الموهوب كان (٣٣) سنة و(٦) شهور،وتوسط عُمْر الأم كان (٢٩) سنة٠

وبيَّنت دراسة « سليفرمان »،و « كيرني » أنَّ متوسط أعمار الأمهات كانت (٢٩) سنة و(٦) شهور٠

كمَّا بيَّنت دراسة « فان تاسل باسكا »أنَّ معظم أعمار أمهات الأطفال الموهوبين في عينته كان في أواخر العشرين، ومعظم أعمار الآباء كان في أوائل الثلاثين٠

وفي دراسة « جروس » علي العينة الأسترالية تبيَّن أنَّ أعمار الأمهات كان (٢٨) سنة و(٣) أشهر، ومتوسط أعمار الآباء كان(٢٨) سنة و(١١) شهراً٠

يتضح من الدراسات السَّابقة أنَّ أعمار الآباء والأمهات للأطفال الموهوبين كانت كبيرة نسبيًّا، أي في أواخر العشرين أو أوائل الثلاثين، ويمكن عزو ذلك إلي أنَّ الأبوين في هذا العُمْر يكونان أكثر نضجاً من الناحية العاطفيَّة، وأكثر استقراراً من الناحية الماديَّة ممَّا ينعكس إيجابيًّا علي تنمية الموهبة الكامنة لدي طفلهما٠

٤ــ المستوي التعليمي والمهني للأبوين:

بيَّنت معظم الدراسات أنَّ المستوي التعليمي لآباء الأطفال الموهوبين أفضل من المستوي التعليمي لآباء الأطفال العاديين، وأنَّ نسبة لا يُستهان منهم قد أنهوا الدراسة الجامعيَّة.

ويبدو أن تربية الموهبة توجد حتى لدي الأُسر التي تعيش في ظروف معيشية سيئة، إذا ما توافر فيها الدعم المعنوي الكافي لأبنائها، وشعرت بالتقدير للعلم والعمل، وإذا وُجد علي الأقل شخص راشد في المنزل يوفر التشجيع والتوجيه للطفل الموهوب.

كمَّا تُشير بعض الدراسات إلي أنَّ الأطفال الذين يعيشون في بيئة أُسرية ثقافية (توفر الكتب، والمجلات، والألعاب، والرحلات، والتواصل اللفظي مع الأبوين..) وإن كانت إمكاناتها المالية متواضعة، كانوا أميل إلي امتلاك القدرة علي حل المشكلات والمهارات العقليَّة العالية، وأكثر قدرة علي الاستفادة من الخبرات والإمكانات التعليمية الجيدة في المدرسة من الأطفال الذين ينتمون إلي بيئة فقيرة ثقافيًّا.

وبالنسبة للمستوي المهني لآباء الموهوبين تبيَّن في هذا الصدد أنَّ معظمهم كانوا يحتلون مراكز مهنية وإدارية، إذ بيَّنت دراسة « تيرمان » أنَّ ٢٩٪ من أفراد العينة كانوا من المهنيين.

أمَّا دراسة « فان تاسل باسكا » فبيَّنت أنَّ معظم أفرا عينته من الأطفال الموهوبين كانوا من المهنيين، وأنَّ ٢٠٪ منهم كانوا من رجال الأعمال، و ١٥٪ مُعلِّمات، و ٨٪ ممرضات٠

وبيَّنت دراسة « جروس » التي أجراها علي العينة الأسترالية أنَّ ٢٥٪ كانوا من الأطباء أو المرتبطين بالطب، و أنَّ ١٤٪ منهم كانوا تربويين، و ٢٥٪ كانوا يحتلون مراكز إدارية٠٠أمَّا الأمهات فحوالي ٦٤٪ كن عاملات في مراكز مهنية متنوعة٠

يتضح من هذه الدراسات أنَّ المستوي التعليمي والمهني للأبوين يؤثِّر بصورة إيجابيَّة علي تنمية المواهب لدي الأطفال؛ لأنَّ الأبوين المُتعلِّمين اللذين يتمتعان بمراكز مهنية عالية يكونان أقدر علي توفير البيئة المُيسِّرة لتنمية الموهبة، والمناخ التربوي والنفسي الملائم لإطلاق طاقاتهم الإبداعيَّة٠

لقد ركزت معظم الدراسات السَّابقة علي متغيرات ثابتة في البيئة الأُسرية من الصَّعب التحكُّم بها أو تغييرها مثل العُمُر، والمستوي التعليمي للأبوين، وترتيب الطفل في الأسرة، لذا.. كان لابدّ من اللجوء إلي بعض الدراسات التي أكَّدت علي متغيرات أكثر ديناميكية، مثل: التوافق الأسري، وأساليب التنشئة الاجتماعيَّة٠

٥ــ العلاقات الأُسريَّة:

تُشير دراسة « لوي» Lowe، و «ريم» Rim حول العلاقات الأُسريَّة والموهبة إلي أنَّ أُسر الطفل الموهوب تتمتَّع بتوافق أُسري جيد، وأنَّ نسبة الطلاق منخفضة، وجدير بالذكر أنَّ هناك أطفالاً موهوبين لم يحققوا نجاحاً في الحياة المدرسيَّة علي الرغم من تشابه خصائص حياتهم الأُسريَّة مع أطفال الموهوبين الناجحين؛ وذلك لأنَّهم اختلفوا عنهم في العلاقات الأُسريَّة بين الوالدين، حيث تميَّزت العلاقات الأُسريَّة للموهوبين الناجحين بالتفاهُم والحُبّ والسَّعادة الزوجية، بينما اتسمت العلاقات بين الأبوين لدي الأطفال الموهوبين الفاشلين بالخلاف والمشاجرة والانفصال، وكذلك العلاقة بين الأبوين والأبناء.

٦ــ أساليب التنشئة الاجتماعيَّة:

التنشئة الاجتماعيَّة Socialization هي المسئولة عن تشكيل السلوك الاجتماعي للفرد وعن تأثير ثقافة المجتمع في بناء شخصيته، وعن توافقه الاجتماعي، وتعلُّم الأدوار الاجتماعيَّة، والقيم، والاتجاهات، والمعايير الاجتماعيَّة، وفلسفة الحياة.

وتدل التنشئة الاجتماعيَّة في معناها العام علي العمليات التي يصبح بها الفرد واعياً ومُستجيباً للمؤثرات الاجتماعيَّة وما

تشتمل عليه هذه المؤثرات من ضغوط، وما تفرضه من واجبات علي الفرد حتى يتعلَّم كيف يعيش مع الآخرين ويسلك معهم مسلكهم في الحياة٠ وهي في معناها الخاص نتاج العمليات التي يتحوَّل بها الفرد من مُجرَّد كائن عضو إلي شخص اجتماعي٠

كمّا أنَّ التنشئة الاجتماعيَّة في حقيقتها عملية تعلُّم لأنَّها تعديل أو تغيير السلوك نتيجة التعرُّض لخبرات وممارسات مُعيَّنة، إذ يري «سيكورد» Secord،و «باكمان» Baackman أنَّ التنشئة الاجتماعيَّة عبارة عن عملية تفاعُّل يتعدَّل عن طريقها سلوك الشخص بحيث يتطابق مع توقعات أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها٠

وتنشئة الطفل إنما هي في جوهرها عملية مواجهة مستمرة بمواقف اجتماعيَّة داخل العائلة والمدرسة وجماعة اللَّعب، وتُرسخ في الأذهان أفكار الثواب والعقاب والحُبّ والمخاطر وذلك من خلال الأشخاص، ومن خلال الموضوعات التي تحتويها، ومن هنا فإنَّ تأثُّر الطفل بالثقافة السَّائدة من خلال المُعايشة والتفاعُّل المستمر معها هما اللَّذان يُشكِّلان القاعدة الرئيسة لعملية التنشئة٠

ولذلك.. فعملية التنشئة الاجتماعيَّة تهدف دائماً إلي إعداد أبناء يحيون حياة أفضل في المستقبل الذي يتوقعه الوالدان، في ضوء تجربتهما، ونتيجة للتجارب التي يعيش فيها الوالدان في

مجتمع يتأثَّر بالتحضُّر والحراك، والذي يتأكَّد بإقبالهما علي تعليم أولادهما، لذا.. فإنَّ الوالدين لهما الدور المهم في تنشئة الصِّغار وتعويدهم علي تشغيل ذكائهم وقدراتهم العقليَّة٠

وتأتي أهمية التنشئة من أنَّ الإنسان يولد عاجزاً، وغير مزود بمهارات التوافق والتكيُّف التي تولد بها الحيوانات الأخرى، وتقوم التنشئة بإعداد الطفل لكي يكون إنساناً اجتماعياً

والتنشئة الاجتماعيَّة هي عملية تدريب للطفل بحيث يكتسب أساليب مجتمعه الحياتية والعادات والأنظمة السَّائدة فيه، وتتم التنشئة وفقاً لقيم المجتمع الذي يعيش فيه الطفل٠

إذاً٠٠فعملية التنشئة الاجتماعيَّة عملية مُتعدِّدة الأبعاد والأدوات، فهي تبدأ منذ اللَّحظات الأوَّلي لخروج الطفل إلي الحياة عقب ولادته مباشرة وحتى آخر لحظات العُمُر وذلك عبر مراحل متتابعة، ويتم تركيز التنشئة في نواحي النمو العقلي خلال السنوات الأوَّلي من عُمُره.. لذا يتشرَّب الطفل خلال عملية التنشئة القيم والمعايير ، ويتعلَّم ضروب السلوك التي تشيع في المجتمع، فيتحوَّل من مُجرَّد كائن بيولوجي إلي إنسان ناضج مؤهَّل، له مقومات الذكاء والنموّ العقلي السليم٠

وتلعب الأسرة دوراً حيويًّا في تنشئة الأطفال عموماً وفي تنمية مواهبهم خصوصاً، فالأسرة يبقي فيها الطفل كُلّ سنواته الست، ثُمَّ بقية عُمْره بعد ذلك، حتى تتفتح مشاعره، وتنمو ملكاته وسط الأسرة وفي رحابها، بدءاً من يوم ولادته، وحتى دخوله المدرسة، ويستمر دور الأسرة بعد ذلك في تنمية المواهب.

والأسرة تُعتبَر العامل الأوَّل في التنشئة وتنمية الذكاء، وذلك لأنَّ أعضاء الأسرة تكون صلتهم دائمة بالطفل وتأثيرهم عليه كبيراً، كما أنَّ التفاعُل بين الأسرة والطفل أشد كثافة وأطول زمناً، وأنَّ فترة ما قبل المدرسة من أشد الفترات من حيث تشكيل شخصية الطفل وتحديد معالم سلوكه الاجتماعي.

ويعتمد تحديد شخصية الفرد علي عدة عوامل منها: الاستعدادات الوراثية، والقيم، والمعايير التي تسود الثقافة الفرعية التي ينتمي إليها، وأساليب الثواب والعقاب التي تتعرَّض لها الأسرة.

نستخلص من العرض السَّابق أنَّ أساليب التنشئة الاجتماعيَّة تلعب دوراً كبيراً ومهماً في تنمية الموهبة لدي الطفل، ومن الدراسات الكلاسيكية المعروفة في هذا المجال دراسة « رو » Roe التي قامت بدراسة علي ثلاث مجموعات من المبدعين، فوجدت أنَّ أهم عوامل البيئة الأُسرية المُشجعة للإنجاز العالي هي:

الحُرِّيَّة، وتضاؤل العقاب، والتشجيع المستمر الذي يستخدمه الآباء مع أبنائهم.

وتُشير معظم الدراسات العربيَّة والأجنبيَّة في هذا المجال إلي أهمية توافر العناصر في البيئة الأُسريَّة الميسرة للإبداع، أحد الأبعاد المهمة للموهبة:

- ممارسة الأساليب الأُسريَّة السَّوية في تنشئة الأبناء، أي البُعد عن التسلُّط أو القسوة، والتذبذُب في المعاملة، والمفاضلة بين الأبناء، والتدليل الزائد، والحماية المُفرطة.
- تشجيع الاختلاف البنَّاء.
- تقبُّل أوجه القصور.
- وجود هوايات لدي الأبناء.
- توافر جو من القبول والأمان وعدم الإكراه.
- إتاحة الفرص للاستقلالية والاعتماد علي النفس.
- الاتجاه الديمقراطي والإيجابي نحو الأبناء.
- الانفتاح علي الخبرات.
- التنوُّع في الخبرات.
- تعويد الطفل علي التعامُّل مع الفشل والإحباط.

كمَّا تُبيَّن الدراسات في هذا المجال أنَّ بعض الاتجاهات الوالدية تُساعد علي تنمية الإبداع ومن أهمها: تشجيع التفكير اللانمطي للأدوار الجنسيَّة، أي عدم قولبة كلاً من الذكر والأنثى في أدوار تقليدية مُعيَّنة، والتي تري أنَّ أدوار الأنثى ترتبط بالعلاقات الاجتماعيَّة، وأنَّها قد خُلقت للبيت وتربية الأبناء، وأنَّ الذكر دوره هو كسب القوت والأدوار التي تتعلَّق بالانجاز، بل النظر إلي الابن أو الابنة حسب قدراته وميوله بغض النظر عن كونه ذكراً أم أنثي.

● دور الأم في تنمية مواهب الأطفال:

بالنسبة لدور كلاً من الأم والأب تبيَّن في معظم الدراسات أنَّ الأم تلعب دوراً مؤثِّراً في تنمية موهبة طفلها، وخصوصًا في السنوات الأوَّلي من عُمْره، والتراث السيكولوجي يزخر بالعديد من الدراسات التي تُبيِّن هذا الدور والتي تؤكِّد أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين ذكاء الأم وطفلها، ونؤكِّد أن مستوي تعليم الأم بصورةٍ خاصَّة، ومشاركتها ومتابعتها لأمور الطفل وهو صغير لها آثار إيجابية بعيدة المدى علي تربية الموهبة لدي الطفل مستقبلاً.

كمَّا أورد « لوي » Loui، و« لويز » Lewis عدداً من الدراسات التي بيَّنت أنَّ هناك ارتباطاً قويًّا بين توقعات الأم وذكاء طفلها.. و إن كان من الصَّعب التحقُّق في هذا الصدد من اتجاه العلاقة

بـين توقعـات الأم وقـدرات طفلهـا، وتحديـد العلاقـة السـببية بينهمـا، وأي متغيـر يُسـبِّب الآخـر، ومـا إذا كانـت توقعـات الأم هـي التـي تؤثِّـر علـي ذكاء الطفـل، أم أن العكـس صحيـح، ولكـن مـن الثابـت علميًّـا أن نوعيـة التفاعُـل بـين الأم وطفلهـا بغـض النظـر عـن السـبب الحقيقـي في إحداث هـذا التفاعُـل يلعـب دوراً كبيراً في تربيـة الموهبـة لـدي الطفـل، وأن الأم تمتلـك توقعـات عاليـة لطفلهـا تكـون أقـدر علـي توفيـر بيئـة غنيـة لتنميـة الموهبـة.

● دور الأب في تنمية مواهب الأطفال:

أمَّـا بالنسـبة لـدور الأب فإنَّـه لا يقـل أهميـة عـن دور الأم في تربيـة الموهبـة والإبـداع لـدي الطفـل، علـي الرغـم مـن أنَّ معظـم الدراسـات السَّـابقة قـد ركَّـزت علـي دور الأم فقـط.

وفي إحـدى الدراسـات التـي أجراهـا «كارنـز »Kormas ،و«شـمويل» Shwedel علـي عـددٍ مـن آبـاء الأطفـال الموهوبـين في مرحلـة ريـاض الأطفـال تبيَّـن مـن نتائـج هـذه الدراسـة أنَّـة هنـاك تبايناً كبيـراً بـين تفاعُـل آبـاء الأطفـال الموهوبـين، وبين آبـاء الأطفال غيـر الموهوبـين.. ولقـد تجلَّـي هـذا التبايُـن في أربعـة أمـور، هـي:

١. كان آبـاء الأطفـال الموهوبـين أكثـر مشـاركة مـن آبـاء الأطفـال العاديـين، مـن حيـث كـم ونوعيـة الوقـت الـذي يقضيـه الأب

مـع طفلـه، وتُشـير هـذه الدراسـة إلـي أنَّ أب الطفـل الموهـوب يقضـي وقتـاً في القـراءة لطفلـه الموهـوب قـدره ثـلاث أضعـاف الوقـت الـذي يقضيـه أب الطفـل العـادي مـع طفلـه.

وكذلـك يقضـي أوقـات مـع طفلـه تزيـد بنسـبة ٢٠٪ عـن الأوقـات التـي يقضيهـا أب الطفـل العـادي مـع طفلـه، حيـث يُشـارك في هـذه الأوقـات طفلـه في الذهـاب إلـي السـينما، أو ممارسـة الرياضـة، أو الذهـاب في رحـلاتٍ إلـي حديقـة الحيـوان مثـلاً٠

وبالنسـبة لنشـاط القـراءة، فلقـد حـرص آبـاء الأطفـال الموهوبـين علـي تنويـع نشـاطات القـراءة، واهتمامهـم لـم يقتصـر علـي مُجـرَّد القـراءة لأطفالهـم، بـل التركيـز علـي مُسـاعدة الطفـل علـي التمييـز بـين بعـض الكلمـات والأصـوات٠

٢. اهتـم آبـاء الأطفـال الموهوبـين بالتواصـل اللفظـي أكثـر مـن آبـاء الأطفـال العاديـين، ولقـد تضمَّـن التواصـل الشـفهي الجانـب المعـرفي والوجدانـي، كأن يشـرح الأب لطفلـه بعـض المفـردات الجديـدة المتعلِّقـة بمحيطـه، ومشـاعر الآخريـن٠

٣. كان آبـاء الأطفـال الموهوبـين أكثـر اهتمامـاً بالنشـاطات الذهنيَّـة التـي تتطلَّـب اسـتخدام العضـلات الدقيقـة، وتتطلَّـب نشـاطاً ذهنيًّـا أكثـر مـن اهتمامهـم بالنشـاطات الحركيـة التـي تتطلَّـب اسـتخدام العضـلات الكبيـرة، كركـوب الدرَّجـة أو الركـض.

٤. ركَّز آباء الأطفال الموهوبين علي بث الثقة في نفس الطفل، وتجنُّب استخدام الألفاظ النابية، وإظهار القبول غير المشروط لذات الطفل، وكانوا أكثر اهتماماً بالأسئلة الغير مألوفة، وتشجيع الميل للفضول.

هذه الدراسات تؤكِّد أهمية توافر البيئة الغنية ثقافيًّا، الآمنة سيكولوجيًّا (نفسيًّا) لتنمية الموهبة والإبداع لدي الطفل في الأسرة.

ومن أهم عناصرها توافر الكتب، والألعاب المُثيرة ذهنيًّا، وتشجيع الرحلات العلميَّة والثقافيَّة، وتشجيع الهوايات، والإجابة عن أسئلة الطفل، وتشجيع القراءة، والتواصل اللفظي بين الآباء والأبناء.

كمَّا تُشير هذه الدراسات إلي أنَّ أساليب التنشئة الأُسريَّة التي تناسب الطفل الموهوب بصورةٍ خاصَّةٍ في تلك التي تستخدم الإقناع معه، وتعمل علي احترام عقله؛ لأنَّ أسلوب الضَّرب واستخدام القسوة في معاملة الطفل الموهوب بالذات معناه قتل موهبته وهي ما زالت في المهد.

وأساليب التنشئة الأُسريَّة التي تساهم في تنمية موهبة الطفل هي تلك التي تتجه نحو التسامح والقبول والانفتاح والبُعد عن الفصل الحاد بين الأدوار الجنسيَّة.

● **وعي الآباء تجاه مواهب الأبناء:**

يتجلي وعي الآباء تجاه مواهب أبنائهم، والعناية بها، في النقاط التالية:

١. ملاحظة الأبناء عن قرب لفتراتٍ طويلةٍ في مراحل نموَّهم المُتعدِّدة.

٢. أن يمتلك الأبوان توقعات عالية لأداء طفلهما الموهوب، فعلي سبيل المثال: كان العبقري الموسيقي الطفل «يويوما»Yoyoma يعزف مقطوعات موسيقية للموسيقار الألماني الشهير «يوهان سباستيان باخ » Johann Sebastian Bach (١٦٨٥ ــ ١٧٥٠م)، وهو في سِن الرابعة، وكان يتدرَّب يوميًّا علي عزف الموسيقي بصورةٍ منتظمةٍ وجادةٍ.

ويبدو أنَّ والدي الطفل الموهوب كانا مصممين مسبقاً حتى قبل ولادة طفلهما أنَّه سوف يكون عبقريًّا، وكانا يوفران له البيئة المُحفزة لظهور الموهبة، فعلي سبيل المثال: أم المعماري العبقري الأمريكي « فرانك لويد رايت » Frank Lloyd Wright (١٨٦٧ ــ ١٩٥٩م)، وضعت منذ ولادته علي جدران حجرته صور لتصميمات هندسية.

٣. علي الآباء أن يدركوا أنَّ هناك عدم تناغم في نموّ الطفل الموهوب، وأنَّ هناك فجوة بين نموَّه العقلي ونموَّه الاجتماعي والعاطفي. وبسبب تفوق قدراته العقليَّة، وحساسيته المُفرطة، يُصبح لديه عالم داخلي خاصّ وفريد، ويبدأ يسأل أسئلة عن أسرار الكون، والذات الإلهية، وأمور مُجرَّدة، ممَّا يجعل مهمة الوالدين أكثر تحدياً وصعوبةً، وهذا يُثير قلق الآباء، وخصوصًا أنَّ هذا النوع من التفكير يُصاحب مرحلة المراهقة وليس الطفولة.

وعلي الآباء أن يفهموا أنَّ الطفل الموهوب يجمع بين عدة أعمار في آنٍ واحد، فقد يكون عُمْره الزمني(٧) سنوات، وعُمْره العقلي(١٢) سنة، وعُمْره الاجتماعي(٥) سنوات، ومن الطبيعي أنَّه إذا لم يفهموا هذه التركيبة الخاصَّة لسيكولوجيَّة الطفل الموهوب، فإنَّ التعامُّل معه سوف يكون صعباً ومتعباً.

٤. يؤكِّد «كابلان» Kaplan أنَّ أسرة الطفل الموهوب يجب أن تُشجع الطفل علي السعي للتميُّز لا الكمال، والمقصود بذلك هو مساعدة الطفل للوصول إلي أقصي ما تسمح به قدرته دون ضغط أو وضع توقعات عالية جدًّا، وكأنَّه كائن خارق،حتى لا يؤثِّر ذلك علي تقديره لذاته؛ لأنَّ مسألة تقدير الذات المتدني هي إحدى شجون الطفل الموهوب وهمومه.

لـذا.. مـن المهـم تعويـده علـي التعامُّـل مـع الإحبـاط، والبُعـد عـن الحـرص الشـديد علـي الكمـال، وعلـي تقبُّـل أخطائـه، وإدراك أنَّ الخطـأ هـو جـزء مـن الخبـرة الإنسـانيَّة الواسـعة في الحيـاة.

٥. ينبغـي علـي الآبـاء عـدم حرمـان الطفـل الموهـوب مـن طفولتـه، وإعطائـه الفرصـة كـي يعيـش مثـل غيـره مـن الأطفـال، فهـو بحاجـةٍ إلـي تلبيـة بعـض الاحتياجـات كاللَّعـب، والمـرح، واللَّهـو؛ لأنَّ الطفـل الموهـوب لـه احتياجـات جسـميَّة واجتماعيَّـة مثـل بقيـة الأطفـال حتـى لو كان مسـتوي تفكيرهـم يسـبقهم بأعوام.. وعنـد توفيـر الجـوّ المناسـب في الأسـرة لرعايـة موهبتـه يجـب أن يكـون بعيـداً عـن ممارسـة الضغـوط الأُسـريَّة، التـي تفـرض سـياجاً مـن القيـود حولـه.

٦. مـن الضـروري علـي الآبـاء أن يُدركـوا أنَّ الطفـل الموهـوب يـري أبعـد، ويشـعر بطريقـةٍ أعمـق مـن الآخريـن، ويعـرف أكثـر مـن أقرانـه، وأن يقبلـوا فكـرة أنَّـه مـن الطبيعـي أن يكـون مختلفـاً عـن بقيـة الأطفـال، وأنـه يتذمَّـر مـن الروتـين المدرسـي والملـل، وأنَّـه يعتبـر الإذعـان والقبـول نوعـاً مـن الإذلال النفسـي، وأنَّـه يميـل إلـي مُصاحبـة مَـنْ هـو أكبـر منـه سـناً، فهـو يبحـث عـن التعقيـد والإثـارة والتحدي،لـذا.. يجـب ألاَّ يتعاملـوا معـه علـي أسـاس معاييـر الطفـل العـادي، وأن يدركـوا أنَّ اختلافـه هـذا لا يعنـي أنَّـه شـاذ.

- **أهم واجبات الأسرة تجاه أبنائها الموهوبين:**

- إنَّ رعاية الموهبة غير مقصورة علي الاهتمام بالطفل الموهوب والتعامُّل معه، فهذان الأمران مطلوبان ولكنهما غير كافيين لتنمية الموهبة وتوجيهها؛ لأنَّ الرعاية تعني العمل العلمي الواعي مع الموهوبين.

- الموهبة تخبو إذا لم تكن الظروف المُحيطة بها قادرة علي تنميتها.وأهم هذه الظروف: الحُرِّيَّة الفردية، والتشجيع؛ ذلك لأنَّ الموهبة لا تنمو في ظروف القهر، وسيطرة الكبير علي الطفل الموهوب وتوجيهه حسب رغباته.

- التنافس بين الموهوبين يُحفز الموهبة علي التفتُّح، ويدفع الطفل إلي تجويد ما أبدعه والتدقيق فيه، ومن البديهي أن يكون التنافس تربويًّا بعيداً عن الحقد، والحسد، والغيرة والمشكلات التي تنتج عنها.

- متى أدرك الآباء أن طفلهم موهوب، فمن الخير أن يُبادروا بالتفكير في مستقبله، وأن يُخططوا له علي المدى البعيد لمواصلة تعليمه العالي فيما يخدم موهبته ويُعزِّزها؛ فالإعداد للمستقبل خطوة جوهرية ومهمة للغاية لعدم التفريط في مواهب الأبناء وضياعها.

- ظهور نبوغ أحد أفراد الأسرة يفرض عليها مسؤولية تُضاف إلي مسؤولياتها المعروفة بشأن رعاية الأطفال وتوجيههم وإعدادهم للاندماج الطبيعي في المجتمع، والابن الموهوب بحاجةٍ إلي جو أُسري يُشعره بالدفء والأمن ويُتيح له تكوين صورة إيجابيَّة عن ذاته ممَّا يدفعه إلي الإبداع والكشف عن كل ما لديه من إمكانات وقدرات٠

- علي الأسرة ألاَّ تحاول إصدار أحكام مسبقة علي مواهب ابنها، تحت تأثير اعتبارات، وآراء، ومعتقدات قد تُشكِّل عائقاً حقيقياً أمام تفتُّح هذه الموهبة ونموَّها٠

- أكَّد «جولمان» Goleman من خلال النموذج الذي اقترحه والذي أسماه «الذكاء العاطفي»Emotional Smartness ، أنَّ تربية الذكاء العاطفي لدي الأطفال لا تقل أهمية عن تربية الذكاء العقلي٠وأنَّ العديد من الأفراد الموهوبين الذين يتمتعون بذكاءٍ عالٍ قد يفشلون في الحياة العملية إذا لم يمتلكوا الذكاء العاطفي الذي يجعلهم أكثر قدرة علي التعامُّل مع مشاعر الفشل، والإحباط، والغضب، والانفعال، وأكثر قدرة علي التعاطُّف مع الآخرين، وعلي استخدام المهارات الاجتماعيَّة التي تجعلهم أكثر كفاية في حلِّ المشكلات٠

وعلـي الآبـاء الاهتمـام بتنميـة الـذكاء العاطفـي للطفـل الموهـوب٠ ويمكـن للأسـرة أن تعمـل علـي ذلـك عـن طريـق توفيـر المنـاخ العاطفـي المُلائـم الـذي يُسـاعد الطفـل علـي التعامُّـل مـع مشـاعر الإحبـاط والفشـل، والقـدرة علـي التعبيـر عـن مشـاعر الغضـب، وتحسُّـس مشـكلات الآخرين،وبنـاء علاقـات اجتماعيَّـة سـليمة مـع كُلّ مَـنْ حولـه٠

- علـي الأسـرة أن تتحاشـى التفاخُّـر المُفـرِط بـذكاء ومواهـب أبنائهـم علـي مـرأى ومسـمع منهـم لئـلا يتطـوَّر ذلـك إلـي درجـة التعالـي والغرور٠فـإنَّ المُبالغـة وعـدم الموضوعيَّـة في تقديـر مواهـب الأبنـاء قـد يُسـبِّبان لهـم مشـكلاتٍ بعينهـا، فقـد تكـون إمكانـات الأبنـاء العقليَّـة ومواهبهـم لا تتناسـب مـع طموحـات الآبـاء وآمالهـم، وقـد ينجـم عـن سـوء التقديـر اختـلال الاتـزان الانفعالـي عنـد الأبنـاء، وعجزهـم في التوافـق الاجتماعـي.

وقـد يحـدث العكـس عندمـا لا يكتـرث الآبـاء بأطفالهـم الموهوبـين وذلـك يـؤدي إلـي نتائـج سـلبيَّة علـي الطفـل الموهـوب وقدرتـه العقليَّـة وإمكاناتـه٠

- تشـجيع الطفـل وإظهـار الاحتـرام والتقديـر لرأيـه، ومنحـه حُرِّيَّـة نسـبية كـي يسـتغلها لتطويـر وتنميـة نشـاطه الإبداعـي والابتـكاري.

- يجب علي الأسرة أن توفر لأبنائها من الموهوبين، بأساليبٍ بسيطةٍ، وموارد مادية معقولة، كُلّ الفرص لتُشجعهم علي ممارسة الأنشطة والهوايات. وإتاحة الفرص أمامهم للتعرُّف علي الكتب الجديدة وتحفيزهم علي القراءة حتى تصبح عادة مُحبَّبة إلي نفوسهم، ويمكن تحقيق ذلك بشراء الكتب جيدة المضمون، والجذابة في إخراجها وإعدادها.

- من الضروري أن يقوم الآباء والأمهات بتوفير مناخ نفسي واجتماعي مناسب لظهور مواهب الأبناء وانبثاقها، في إطارٍ من قيم الحُبّ، والود، والحنان، والاحترام، بما يُحقق الاستقرار النفسي لهؤلاء الأطفال.

- الابتعاد عن أنواع الإيذاء البدني واللفظي للأطفال الموهوبين، مهما كانوا زائدي أو مُفرِطي النشاط، فهذه إساءة تُسهم في كبت وقهر الأطفال.

- ضرورة أن يُغيِّر الآباء والأمهات نظرتهم إلي اللَّعب من أنَّه مضيعة للوقت إلي كونه مطلبا رئيساً لكُلِّ طفل يُمارس فيه اختبار قدراته، ومواهبه، وأنشطته دون خوف أو توقع تقييم.

- يجب أن تأخذ الأسرة بعين الاعتبار تقنيات التصميم والتأثيث الداخلي لحجرة الأطفال في المسكن المعاصر، فعند تصميم حجرة الطفل لابدّ أن يعمل المُصمِّم جاهداً علي التجاوب مع رغبات الطفل لجلب السرور إليه وإشباع حاجاته نفعيًّا وجماليًّا، مُراعياً الاعتبارات التصميمية التي تتضمَّن عناصر التصميم الداخلي كوحدةٍ واحدةٍ، والعناصر المُكملة للتصميم كالضوء، واللَّون، والتهوية، وتحديد الأبعاد القياسية لقطع الأثاث وأثرها علي الطفل.

- هناك أوجه نشاط مُقترحة للأسرة، وقد أخذت في اعتبارها ميول وقدرات الطفل، والمجالات التي يحتاج إليها نموّ خبراته، وتجاربه، ومهاراته الجسميَّة، ونشاطه الاجتماعي.. وغيرها.

وتأخذ في اعتبارها أيضاً عوامل أُخري مهمة،مثل: ميزانية الأسرة، والتسهيلات المتوافرة في المجتمع:

١. الزيارات إلي: المتاحف، حدائق الحيوان، الأماكن الأثرية، الموانـي، المطارات، المصانع، الشركات، المعامل الطبية، المنشآت الحكومية، المعارض الفنيَّة العامَّة والخاصَّة، الندوات، المحاضرات.

٢. حضور الحفلات الموسيقيَّة، والعروض المسرحية الهادفة٠

٣. الرحلات بالقطار أو الطائرة أو السفينة للترفيه ولبعض أغراض مُعيَّنة، مثل: ملاحظة التضاريس، ومعالم البيئة الطبيعية٠

٤. مناقشة هادفة ومثمرة مع موظفي بعض الهيئات المختلفة في مجالات يُحبَّها الطفل الموهوب، وبملاحظة العاملين أثناء العمل، بحيث يصل إلي معلومات يمكن أن يُسجلها كي تُناقش فيما بعد٠

٥. إمكانات موجودة بالمنزل، وتتضمَّن الآتي:

- كتباً مختلفة للقراءة العامَّة (مستويات مناسبة)٠ وكتباً كمراجع خاصَّة في مجالات ميول الطفل، بالإضافة إلي المجلات والصحف اليومية٠
- مواد وتجهيزات للأنشطة والهوايات٠
- معامل للتجارب العلمية، أو ورش صغيرة بمعداتها وآلاتها، ومناضد للرسم٠٠إلخ٠

٦. اكتساب خبرات اجتماعية مع زملائه، وحضور حفلات رسمية وغير رسمية داخل المنزل وخارجه، والقيام برحلات مع أصدقاء، والاشتراك في المعسكرات والرحلات الكشفية٠

٧. الاشتراك في:

- نادٍ رياضي، أو ساحة شعبيَّة يتوافر فيها التدريب، وتسمح بالاشتراك في الألعاب الفرديَّة والجماعيَّة٠
- فرق الكشافة٠
- نادٍ للرحلات، أو العلوم، أو الهوايات، أو الموسيقي، أو الغناء٠
- المراسلة عن طريقا الهيئات المعروفة لمراسلة الأطفال العرب أو الأجانب من الدول المختلفة٠

٨. استخدام المكتبات المحلية أو مكتبات المدينة٠

٩. مناقشات الأسرة في القراءة الحُرة، وأوجه النشاط الحُرّ٠